مهرجان الجوقة الفلسطينيّ

لما رباح

صدح صوت مئتيْ شخص في قلعة الخواجا- مركز المعلّمين نعلين/برنامج البحث والتطوير التربويّ، يغنّون معاً، ملتزمين بالألحان الأصليّة أو بإضفاء طابعهم الحيويّ الخاصّ، أغلب المؤدّين هم من الأطفال، انضمّوا إلى واحدٍ من أربعين عرضاً لمهرجان الجوقة الفلسطينيّ الذي انطلقت أولى فعاليّاته في مركز الطفل في غزّة في 11 آب الماضي، واستمرّ حتى العشرين من الشهر ذاته، وغنّت في حفل انطلاق المهرجان جوقة مركز للطفل- غزة/مؤسسة عبد المحسن القطان، وجوقة غزة للشباب التابعة لمعهد إدوار سعيد الوطنيّ للموسيقى.

إحدى الجوقات المشاركة في المهرجان تقدم عرضاً موسيقياً.

يعدّ مهرجان الجوقة مبادرةً من «جوقة لندن»؛ وهي مجموعة إنجليزيّة تشارك في مشاريع مشتركة مع فنّانين فلسطينيين منذ العام 2004، وهي واحدة من خمس جوقات عالميّة شاركت في المهرجان هذا العام من أستراليا وفرنسا وبريطانيا، جنباً إلى جنب مع حوالي 50 جوقة فلسطينيّة من قطاع غزة والضفة الغربيّة والمدن المحتلّة العام 1948.

وقالت منسقة المشاريع في «جوقة لندن» أليس هويك في هذا الصدد: «حين زارت المجموعة فلسطين للمرة الأولى؛ لم يكن هناك إلّا جوقة واحدة للتعاون معها، والآن بعد 12 عاماً، هناك 50 جوقة فلسطينيّة مشاركة في المهرجان».

تنمو أشياء أكبر

ما انفكّت ميار ذات الثماني سنوات تدندن الألحان التي تعلّمتها في مهرجان الجوقة -حتى بعد مرور أسبوعٍ على انتهائه- حسبما تقول والدتها منار يوسف من نعلين، التي بدورها كانت بين المتفرّجين؛ ساعةً تراقب استمتاع ابنتها وهي تغنّي، وساعةً تتحادث مع صديقةٍ جديدة تعرّفت إليها في المهرجان، جاءت من البلدة القديمة في القدس.

على بُعد بضع خطوات؛ كانت الشابّة إسلام رفاتي، التي دفعها الفضول وحبُّها للموسيقى لحضور المهرجان، تشاهد غناء الجوقة لأوّل مرّة في حياتها، وبجانبها المتطوّعة في لجنة النظام ناريمان زهدي تراقب الأطفال ينتظمون بمجرّد بدء الغناء بعد أن كانوا مفرطي النشاط: «صاروا كأنهم مغنيون، كأنّه طول عمرهم بيغنّوا».

من بين هؤلاء، كان الطفل محمد شادي، يغنّي مع المجموعة بعد أن تدرّب على تكرار الجمل الموسيقيّة، ووصف تجربته قائلاً: «لو يضلّ هذا النشاط دائماً ويتكرّر دايماً، رح يتغيّروا الأطفال ويصيروا أفضل».

غنّت فرقة (open house) الأستراليّة، التي تعرّف عن نفسها بأنّ لديها التزاماً قويّاً بصنع موسيقى تشاركيّة، أغنية تقول كلماتها: «من الأشياء الصغيرة، تنمو الأشياء الكبيرة»، وتجد «هويك» في ذلك استعارةً تعبّر عن فكرة المهرجان العامّة بإيجاز؛ مفسّرة: «الجميع يستطيع الغناء، والغناء هو أكثر الطرق تلقائيّة وبساطة لكي يصنع البشرُ الفنّ سويّاً، ويعطيهم قوّة مذهلة كأفرادٍ وجماعات»، مضيفةً: «قريةٌ بأكملها تخرج لتشاهد الأطفال يغنون مع فرقةٍ زائرة؛ نوع الاهتمام والفضول الذي تولّده نشاطات كهذه -وبخاصة في المجتمعات المنعزلة- كافٍ لأنْ يجمع الناس سويّاً».

جانب من احد التدريبات خلال المهرجان.

... إلى فلسطين

قدّم المهرجان عروضاً في كلّ من غزة، والخليل، ونعلين، ونابلس، وعابود، والقدس، وبيت لحم، ورام الله، ومخيّم قلنديا والناصرة والقائمة تطول، تجمع بداخلها جوقات كنسيّة وجوقات أطفال وأخرى للكبار، إناثاً وذكوراً؛ إضافةً إلى فرق الآلات الموسيقيّة؛ تجمعهم كلّهم أقدم طريقةٍ للتعبير الموسيقيّ.

يستخدم البشرُ الغناء عند الاحتفال، والاحتجاج، والفرح، والحداد؛ وعند سؤال «هويك» عمّا إذا كانت هناك علاقة خاصّة بين مهرجان الجوقة وفلسطين بالذات، قالت إنّ جوهر الجوقة هو بناء المجتمعات ودمج الناس مع بعضهم؛ مؤكّدة: «إنّها تقاوم الاحتلال بشكلٍ أو بآخر، فهي تجمع حين يعتمد هو بالأساس تفريقَ الناس وتمزيق المجتمعات، كما يعتبر الغناء طريقة بسيطة كي يتواصل غير الفلسطينيين مع الفلسطينيين ليسمعوا حكاياتهم ويفهموا واقعهم».

يُذكر أنّ الشريكيْن الرئيسيّيْن في المهرجان هما جوقة لندن ومعهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى، وتعتبر مؤسسة عبد المحسن القطّان راعيةً للمهرجان من بين اثني عشر راعياً.

برنامج البحث والتطوير التربوي

جانب من التدريب على وصلة غنائية حركية خلال المهرجان.